المعاجم* المدرسيّة العربيّة من خلال مقدّماتها

حسن حمزة

جامعة ليون 2 - فرنسا

حسناً فعل مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية حين اختار موضوعا لندوته : "المعجم المدرسي : مادته وآليات صناعته"؛ فالموضوع على أهميته البالغة في تطوير العربية بِكرٌ أو شبهُ بكرٍ في الدراسات العربية المعاصرة، وهو يحتاج إلى دراسة شاملة تتناول جوانبه المختلفة.

غير أننا سوف نكتفي في هذه المقالة بالنظر في مسألة واحدة من مسائله تتعلق بمقدمات هذه المعاجم. ونعني بهذه المقدمات ما كتبه مؤلف المعجم أو ناشرُه، وما كان مقدمة أو توطئة أو تصديرا أو ما شابه ذلك. ولن نتناول إلا عددا قليلا من القضايا التي تثيرها هذه المقدمات أو تسكت عنها؛ فقد يكون السكوت أبلغ في الدلالة من المنطوق به.

*- حين يُستخدم لفظ «المعجم» في هذه المقالة فإنما يُعنى به الكتاب الذي يضم بين دفتيه مفردات اللغة مع شرحها، وهو ما يسميه بعض الدارسين «القاموس». تمييزا له عن المعجم الذي هو مفردات اللغة.

1. العنوان : المعجم المدرسيّ

أما القضية الأولى التي نود النظر فيها فهي قضية العنوان، عنينا بها وصْف المعجم بالمدرسي، وقد ورد هذا الوصف في عنوان الندوة التي تتحدث عن "المعجم المدرسي : مادته وآليات صناعته"؛ فماذا يعني المعجم المدرسي ؟ وما المقصود من وصف المعجم بأنه مدرسي ؟

قد يبدو العنوان للوهلة الأولى بدَهيا لا يثير سؤالا ولا يستحق نقاشاً؛ فهو معروف عند الباحثين ومستخدمي المعجم كبارا وصغارا على حد سواء. غير أننا نعتقد أن الأمر ليس على هذه الشاكلة، وأن أكثر الأمور بداهةً قد يكون أكثرها صعوبة واستعصاءً على التوضيح. وأخشى ما نخشاه أن يضيع البحث في متاهات؛ أي أن نتحدث عن المعجم المدرسي دون أن نتفق على ما نعنيه بهذا المعجم، وعلى نمط المعاجم الذي يمكن أن يُطلق هذا الوصف عليه؛ وهذه مسألة نظرية لا بد من حسمها بداية إن كان المأمول أن يصل النقاش إلى نتيجة مُرضية، وأن لا يدور في حلقة مفرغة حين يُكتشف في آخره أننا لا نعرف موضوعه.

أغلب الظن أنَّ موضوع البحث الذي ترمي الندوة إليه في عنوانها إنما هو المعجم الصغير الحجم الذي يتوجه إلى تلاميذ المدارس في أيامنا في مختلف مراحل التعليم الذي يسبق الجامعة. وقد انتشر هذا النوع من المعاجم انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة، فصدر منه ما يقرب من ثلاثين معجما نُشر العدد الأكبر منها في بيروت. وقد تحقق هذا الظن حين رأينا نماذج المعاجم المعروضة على طاولة المؤتمر، وهي تنتمي جميعا إلى هذا الصنف. ولأننا انطلقنا من هذا الظن فقد اخترنا أن نعتمد في محاولة درس مناهج المقدمات عددا من المعاجم التي تنص صراحة على

أنها تتوجه للطلاب وللمدرسة من خلال عناوينها، فأخذنا ما وجدناه منها في إحدى المكتبات في تونس. وهذه المعاجم التي اعتمدنا عليها هي التالية :

- منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، طبعة 52، 2008، نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد أفرام البستاني. والمعجم في 953 صفحة من القطع الصغير يبدأ بتوطئة لا توقيع فيها ولا تاريخ.

- رائد الطلاب، معجم لغوي عصري للطلاب، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 28، 2004، تأليف جبران مسعود والمعجم في 944 صفحة من القطع الصغير، 16000 مدخل، يبدأ بمقدمة بتوقيع جبران مسعود، دون تاريخ.

- قاموس المتقَن المدرسي، دار صادر، بيروت، طبعة 1، 1426هجرية/ 2005 م. والمعجم في 959 صفحة من القطع الصغير، 22000 كلمة. يبدأ المعجم بمقدمة بتوقيع «البروفسور الدكتور بشارة زين الشدياق، مركز الأبحاث الجامعية للمصطلحية العربية والمتعددة اللغة [كذا] التابع لجامعة "لوهافر" في فرنسا»، دون تاريخ. وتشير المقدمة إلى أن «المتقَن» «وضع سنة 1927 للعلّامة المعجمي جرجي شاهين عطية البيروتي المتوفى في العام 1946».

- المعجم الوجيز المدرسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2007، «تأليف لجنة من الأساتذة بإشراف د. صلاح الدين الهواري». والكتاب في 880 صفحة من القطع الصغير، يبدأ بمقدمة بتوقيع الناشر، دون تاريخ.

- المتقَن الوسيط، معجم مدرسي، دار الراتب الجامعية، بيروت، د. ت.، «الإعداد : دائرة النشر والترجمة، د. هزار الراتب ود. جميل أبو نصري.

والكتاب في 440 صفحة من القطع الوسط يبدأ بمقدمة بتوقيع الناشر، دون تاريخ.

تأكد عندنا أن الندوة تهدف حقا إلى دراسة هذا الصنف من المعاجم التي اخترناها. غير أن صِدق الظن لا يحل الإشكال الذي أشرنا إليه في أول هذه المقالة، ويبقى السؤال قائما على أي حال عن المقصود بالمعجم المدرسي.

منذ قرن كامل من الزمان، أي في العام 1908 ظهر المعجم المعروف : «المنجد» للأب لويس معلوف اليسوعي. وقد أعيد النظر فيه وطُبع مرارا منذ ذلك التاريخ. وقد جاء في الطبعة الخامسة عشرة للعام 1956[1] ما يلي :

«ظهر هذا الكتاب سنة 1908 بعنوان

"المنجد"

معجم عربي مدرسي مع رسوم

ألفه الأب لويس معلوف اليسوعي

وأعيد النظر فيه في طبعته الخامسة التي ظهرت سنة 1927 [...]

وهو يظهر اليوم بعنوان

المنجد

في اللغة والأدب والعلوم»

في العنوان أنه معجم مدرسي إذن، وفي مقدمة الطبعة الأولى من هذا المعجم المدرسي عودة إلى هذا الوصف وإلحاح على الطابع المدرسي فيه؛ فقد جاء في هذه المقدمة :

«أما بعد، فإن أدباء اللغة العربية وأئمتها العاملين في إعلاء شأنها وإدناء قطوفها، ولا سيما أرباب المدارس منهم، كثيرا ما قد لهجوا في هذه الأزمنة بمسيس الحاجة إلى معجم مدرسي ليس بالمُخِلِّ المعوز، ولا بالطويل المُمل المعجز، يكون قريب المأخذ ممتازا بما عُرفت به المعجمات المدرسية في اللغات الأجنبية من إحكام الوضع ووضوح الدلالة»[2].

علام يقوم هذا المعجم المدرسي ؟

يبدو من هذه المقدمة أنه يقوم على ثلاث ميزات هي توسُّطُ حجمِه، وإحكامُ وضعِه، ووضوحُ دلالتِه.

أما الميزتان الأخيرتان وهما إحكام الوضع ووضوح الدلالة فلا ينبغي أن يقع في الوهم أنهما تخصان المعجم المدرسي، فهما شرطان من شروط أي معجم من المعاجم وإن كانت الحاجة إليهما أمسَّ وأوضح في المعجم المدرسي منها في المعاجم الأخرى التي قد يُغتفر فيها ما لا يغتفر فيه. وأما الميزة الثالثة فيبدو أن فيها نظراً اعتمادا على المنجد نفسه؛ فقد جاء في مقدمة طبعته الخامسة في العام 1927 أنها طبعة مهذبة مصححة مكملة، ما يجعل المعجم

«كافيا وافيا مغنيا الكتّاب والأدباء عن سواه»[3].

لا ريب في أن هذا المعجم المدرسي الذي يحذو حذو بعض المعاجم في اللغات الأجنبية كما يقول في مقدمته -وربما كان في رأس قائمة هذه المعاجم معجم لاروس الفرنسي- ليس مدرسياً على غرار المعاجم المدرسية التي تتوخى هذه الندوة دراستها. ويبدو أن الزيادات الكثيرة في طبعته الخامسة هي التي أشعرت أصحابه أخيراً بأنه قد تجاوز

حدود المعجم المدرسي، فدفعتهم بعد أربعة عشر عاما إلى إخراج معجم جديد هو منجد الطلاب الذي ظهرت طبعته الأولى في العام 1941 تحت عنوان :

«منجد الطلاب

معجم مدرسي عن منجد الأب لويس معلوف»

ثم توالت طبعاته فظهرت الطبعة الثانية والخمسون التي اعتمدنا عليها في العام 2008.

2. أهداف المعجم المدرسي وجمهوره

ظهور معجم عنوانه : منجد الطلاب لا يكاد حجمه يوازي نصف حجم المنجد أو ثلث حجمه يعني حُكما أن المنجد ليس معجما مدرسيا عند أصحابه، أو أنه لم يعد كذلك. إن أخذنا المنجد في النصف الأول من القرن العشرين، فالمعجم المدرسي يتوجه إلى جميع الناس في وقت واحد. إنه للأديب وللكاتب وللتلميذ وللطالب على حد سواء. أما بعد صدور منجد الطلاب فيفترض أن صاحب المعجم قد بدأ يميز بين جمهورين مختلفين لأنه لو لم يكن الأمر على هذه الصورة لما احتاج إلى معجم خاص بالطلاب مغاير للمعجم الأول.

قد يقع في الوهم أن الطلاب المعنيين بالعنوان هم طلاب الجامعات، لأن الذهن ينصرف إليهم مباشرة في العربية المعاصرة التي استقر فيها استخدام لفظ «التلاميذ» للصغار في مدارسهم، واستخدام لفظ «الطلاب» للكبار في الجامعات. غير أن حجم المعجم وتوطئته التي تتحدث عن «فرع صغير» لِلمنجد يتوجه للطلاب الذين «لا يكاد يقع

في مطالعاتهم نصف المفردات التي جمعها "المنجد" ولا يكاد يتناول استعمالُهم رُبعَ هذا النصف» لا يسمحان بهذا التأويل، ويدفعان إلى اعتباره مخصصا للتلاميذ قبل المرحلة الجامعية؛ فكلمة «الطالب» في المدخل المخصص لها في هذا المعجم نفسه تعني التلميذ، وهذا المعنى يوافق عنوان المعجم الآخر : «رائد الطلاب» الذي يتحدث عن الطالب الذي يتوجه إليه في معجمه فيقول إن المعنيَّ به هو الطالب «في المرحلتين الإبتدائية والتكميلية وحتى الثانوية إلى حد»،

أي إن المقصود الأساسي من لفظ «الطالب» إنما هو تلميذُ المراحل الأولى من التعليم قبل الجامعة، أي في المرحلة الابتدائية والمرحلة التي تليها. ويرجَّح أن هذا هو المقصود أيضا في «منجد الطلاب»؛ فقد جاء في مقدمة المنجد الوسيط في العربية المعاصرة[4] الذي صدرت طبعته الأولى في العام 2003، وهو المعجم الذي أصدرته سلسلة «المنجد» نفسها، إنه طبعة «خاصة بالطلاب في مراحل التعليم دون الجامعي».

أما المعاجم الثلاثة الأخرى فتكتفي بالقول إنها معاجم مدرسية، ولكنها لا تحدد الجمهور الذي تتوجه إليه تحديدا دقيقا، بل تقول إنها موجهة للطلاب، أو للطلاب والدارسين دون أن تشير إلى مرحلة محددة من مراحل الدراسة.

أي معجم يتوجه إلى طلبة الجامعات : أهو المعجم المدرسي أم معجم الطلاب أم المعجم الذي لا ينص على الجمهور الذي يتوجه إليه ؟ لا تقدم المعاجم جوابا صريحاً عن هذا السؤال.

هناك احتمالان إذن في تقدير مَن يتوجه المعجم المدرسي إليه، ونحن نرجح الاحتمال الأول منهما :

- إما أنّه يتوجه إلى جميع مراحل التعليم التي تسبق الجامعة كما يذكر «رائد الطلاب» حين ينص على المرحلتين الابتدائية والتكميلية وحتى الثانوية.

- وإما أنه يتوجه إلى جميع مراحل التعليم بما فيها المرحلة الجامعية.

وكيف دار الأمر بين الاحتمالَين، فإن عناوين هذه المعاجم، ومقدماتها في بعض الأحيان، تقول تصريحا أو تلميحا إن حاجات التلميذ من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية، بل ربما حتى الجامعة، حاجات يمكن أن يستجيب لها كتاب واحد يرجع إليه التلاميذ في سن الطفولة وفي سن المراهقة وفي سن الشباب، لأن المعجم المدرسي، أو معجم الطلاب، في ما يبدو، يتوجه إليهم جميعا دون التمييز بينهم. وفي هذا ما فيه من العسف، ومن قسر للمعجم على المراوحة والترجح بين حاجات هذا وذاك، وهي بالضرورة حاجات متباعدة لا يمكن الجمع بينها.

يعيدنا هذا الأمر إلى السؤال عن الخصائص التي يجب أن تتوفر في المعجم ليمكن القول عنه إنه معجم مدرسي، لأن تصورَ المعجم مرتبط بالجمهور الذي يتوجه إليه، ويسعى إلى تلبية حاجاته. ومن المهم في هذا المجال أن ينظر المرء في الأهداف التي تقول مقدمات المعاجم المدرسية إنها تتوخاها ليرى مدى نجاعتها وملاءمتها لحاجات جمهورها من التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة.

لا يخلو النظر في المقدمات من المفاجآت في بعض الأحيان؛ فمقدمة المتقَن الوسيط، وهو معجم مدرسي عربي-عربي تحدد أهدافها في أول سطر من سطورها بالقول التالي :

«أُعِدَّ معجم المتقَن الوسيط العربي العربي ليلبي الحاجات الجديدة للعالم العربي والغربي على صعيد الترجمة الفورية، فهو يشكل أداة لا غنى عنها لمعرفة معاني الكلمات من لغة إلى لغة أخرى، أو لنفس اللغة والتمكن منها».

وينهي الناشر المقدمة بالقول عن معجمه :

«نقدمه في غلاف "برش" وأنيق ليكون مرجعا تطبيقيا وسريعا للطلاب والمترجمين».

لا بد من أن يصاب الباحث بالذهول وهو يقرأ أن معجما مدرسيا أحادي اللغة إنما وُضِع ليلبي حاجات التراجمة الفوريين، ولا بد له من أن يَعجب من قدرة دائرة الترجمة التي أعدت هذا المعجم على إخراج معجم مدرسي صالح للترجمة عموما وللترجمة الفورية على وجه الخصوص. كان العهد بأصحاب المعاجم الثنائية اللغة التي تتوجه إلى الكُتّاب والمثقفين أن يقولوا عن معاجمهم إنها أدوات في أيدي المترجمين. أما هنا، فالمعجم يضرب عصفورين بحجر واحد : هو معجم مدرسي أحادي اللغة، ومع ذلك فهو يلبي حاجات المترجمين والتراجمة الفوريين في العالَمين العربي والغربي على حد سواء. ما هي حاجات المترجمين والتراجمة الفوريين ؟ بل ماذا تعني الترجمة عموما والترجمة الفورية على وجه الخصوص ليستطيع المعجم المدرسي الأحادي اللغة تلبية حاجاتها ؟

يبدو أن السؤال لا يحتاج إلى جواب.

لا يحدد قاموس المعتمَد المدرسي صراحةً الأهداف التي يرمي إليها. غير أنه يُستشف من مقدمته أنَّه للتثقيف، فحفظ المعجم شرط من شروط الثقافة، بل ربما شرطها الأول والأهم، فهو يقول :

«وقد عرفنا الكثيرين من معاصرينا عندما يتكلمون عن مصادر ثقافتهم أنها عائدة بالدرجة الأولى لوجود معاجم في متناول أيديهم [كذا]. والكثيرون منهم يروون وبفخر أنهم كانوا ينبطحون أرضا على مدى سنين بغية اقتحام شامل وكامل لمحتويات القواميس. وهناك مَن يخبرنا عن طريقة تعلم بشكل حسابي؛ إذ إنه كان يحفظ كل يوم وبشكل دقيق كلمتين فقط من القاموس حيث تمكن خلال سنوات من أن يصبح من كبار المثقفين في العالم».

في مقدمة المعتمَد وصفة سحرية للتلاميذ صغارا وكبارا : أن يحفظوا في كل يوم كلمتين من كلمات القاموس ليتمكنوا «خلال سنوات» من أن يصبحوا «من كبار المثقفين في العالم»، أي بعد أن يحفظوا آلافاً قليلة من المفردات لا تكاد تغطي ربع قاموس المعتمَد المدرسي نفسه، لأن حفظ مفردات المعجم على الوتيرة التي يُنصح بها، وهي حفظ كلمتين في كل يوم، يحتاج إلى عمر مديد قد يتجاوز قرنا من الزمان.

أما المعجم الوجيز المدرسي الذي يذكِّر بِـ"المعجم الوسيط"[5] لمجمع اللغة العربية بالقاهرة[6] فهدفه حماية العربية، إذ يرى الناشر في مقدمته :

«أن في إعداد هذا المعجم أداء لواجب قومي يهدف إلى الحفاظ على حمى اللغة العربية، وتبيان قدراتها الهائلة، لتبقى ركيزة الأمة، ومدعاة فخرها، ومصدر عزتها ووحدتها».

وطبيعي إذن أن يتميز هذا المعجم المدرسي بالمحافظة والحذر في اعتماد الألفاظ والمعاني المستحدَثة.

أما المعجمان المدرسيان الباقيان فأقل كرماً في عرض أهدافهما؛ فصاحب «رائد الطلاب» الذي يقول عن معجمه «الرائد» إنه بات «غنية الراغبين من الأدباء والمثقفين والدارسين»، يقول في مقدمة معجمه المدرسي:

«بدا لنا أن نخص الناشئة بأخٍ لـ"الرائد" صغير يكون ألصقَ بحياتها وأدعى إلى تلبية حاجاتها»،

وهو كلام عام لا يشفي غليلا، ولكنه لا غبار عليه لأنه يبتغي أن يكون ألصق بحياة الجمهور الذي يتوجه إليه، وأدعى إلى تلبية حاجاته، وهو نفس الجمهور الذي يتوجه إليه منجد الطلاب دون أن يحدد الأهداف المتوخاة، ودون أن يحدد الوسائل الكفيلة ببلوغ هذه الأهداف.

يبدو من هذه المقدمات جميعا، ما كتبه المؤلفون وما أضافه الناشرون، أنه ليس في واحد منها تحديد دقيق للأهداف التي يسعى إليها معجم مدرسي؛ فهذه الأهداف إما غائبة وإما غائمة. ويترتب على هذا الغياب في تحديد الأهداف غياب للوسائل التي يمكن اللجوء إليها لبلوغ الهدف المنشود.

3. في تصور المعجم المدرسي

يبدو ما يسمى بالمعجم المدرسي العربي عموما كالمعجم غيرِ المدرسي، أي المعجم العادي الموجه للكبار، ولكن المعجم المدرسي صغير

الحجم، عنينا بذلك أنه لا يكاد يختلف عن المعجم العادي إلا بصغر حجمه؛ فالمعاجم مطوّل وكبير ووسيط وموجز وصغير، وما أشبه هذه من الصفات التي تحيل إلى حجم المعجم لا إلى مزايا أخرى.

لا ريب في أنه لا يمكن أن يكون للمعجم المدرسي حجم المعجم الموجه إلى الأدباء والكتّاب والمثقفين. غير أنه لا ينبغي لهذا الجانب أن يطغى على ما عداه، وأن يكون السمة الوحيدة التي تميز المعجم المدرسي عن غيره، وإنما ينبغي أن يكون له تصور مختلف يخصه، إذ لا يمكن أن يكون تصور المعجم واحدا حين يكون الجمهور متعددا تختلف مشاغله، ولا يمكن حين يصنع معجمان مختلفان لجمهورين مختلفين في المدرسة وفي خارجها أن يكون الخلاف بينهما مجرد خلاف في الحجم بين كبير وصغير ووسط، وإنما ينبغي أن يتجاوز الاختلاف هذه المسألة ليطال جوانب أخرى في تصور المعجم نفسه. ولا ريب في أنه لا يمكن أن يكون المعجم المدرسي واحداً حتى في مراحل التعليم ما قبل الجامعي، فليست مدارك التلاميذ واحدة، ولا حاجاتهم واحدة في كل مرحلة من مراحل العمر والدراسة. غير أنه لا يبدو أن هذا الأمر قد استقر تماما في التأليف المعجمي العربي المعاصر؛ فالمنجد الوسيط في العربية المعاصرة على سبيل المثال، يجعل علة وجوده الحجم الكبير لِلمنجد في اللغة العربية المعاصرة، فيقول :

«بعد أن أصدرت دار المشرق في العام 2001[7] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، وهو معجم موسع يضم جميع المفردات التي يحتاج إليها مثقف القرن الحادي والعشرين [...] كان لا بد من إعادة إصداره في طبعة خاصة بالطلاب في مراحل التعليم ما دون الجامعي».

هذا المنجد الوسيط إذن موجه للطلاب، مثله كمثل منجد الطلاب الصادر عن الدار نفسها والذي ما زالت طبعاته تتوالى منذ طبعته الأولى في العام 1941 إلى طبعته الثانية والخمسين في العام 2008، وهو اختصار للمنجد في اللغة العربية المعاصرة، كما هو حال منجد الطلاب الذي يختصر المنجد في اللغة والأدب والعلوم ثم المنجد في اللغة والأعلام[8]، وكما هو حال رائد الطلاب الذي يختصر الرائد. المعاجم المدرسية المشهورة اختصار لمعاجم أكبر منها في نفس الدار، والمعاجم المدرسية الأخرى اختصار غير معلن لمعاجم أكبر منها، أو نسَخٌ غيرُ معلن لمعاجم مدرسية أخرى. وهذه سُنَّة متوارَثة عن المعاجم الكبيرة التي غالبا ما تكون نسْخا معدَّلا معلناً أو غير معلن للمعاجم التي سبقتها.

لا ريب في أن الانتقال من حجم كبير إلى حجم أصغر منه يستدعي التغيير لأن المعجم الصغير لا يمكن أن يقوم على بتر جزء من المعجم الأكبر منه، وهو تغيير قائم على اختصار مادة المعجم الكبير. أما كيف يجري الاختصار، فذلك ما لا تقوله مقدمات المعاجم المدرسية التي ندرسها، ولا تقوله المقدمات عموما. غير أن مقدمة المنجد الوسيط في العربية المعاصرة تقول :

«اقتصر العمل أولا على حذف المداخل التي لا تندرج معانيها ودلالاتها ضمن علوم الطلاب وثقافتهم [...] وثانيا على حذف التعابير والصيغ أو الشواهد والأمثلة المدرجة تحت جذر الكلمة العربية».

تثير هذه الفقرة مسألة بالغة الأهمية لأنها تشير إلى وسيلتين من وسائل الاختصار : أولاهما حذفٌ في المداخل، وثانيتهما حذفٌ في داخل المداخل.

تقوم الوسيلة الأولى على حذف المداخل التي «لا تندرج معانيها ودلالاتها ضمن علوم الطلاب وثقافتهم». لا خلاف على أهمية هذه الوسيلة وعلى سلامة المبدأ الذي تنطلق منه، لأنه مبدأ يجعل علوم الجمهور وثقافة الجمهور الذي يتوجه المعجم إليه معياراً يُحتكم إليه. غير أن السؤال الذي لا بد منه بعد التسليم بوجاهة المبدأ الذي ينطلق المعجمي منه هو التالي : مَن الذي يحدد علوم الجمهور وثقافته ؟ وعلام يُعتمَد في تحديد هذه العلوم وتلك الثقافة ؟ هنا بيت القصيد ومربط الفرس، ولذلك فسوف نعود إلى هذه المسألة في الفقرة اللاحقة.

وتقوم الوسيلة الثانية على «حذف التعابير والصيغ والشواهد والأمثلة». وللسائل أن يسأل هنا : ألا يحتاج الطالب إلى التعابير والصيغ والشواهد والأمثلة ؟ بل من حق السائل ومن واجبه أن يسأل: أليس الطالب أحقَّ من المثقف والأديب والكاتب بأن تقدم إليه التعابير والصيغ والشواهد والأمثلة ليكون قادرا على الفهم ؟ إن كانت هذه لا تعين على الفهم فلا لزوم لها في المعجم الكبير، وإن كانت ضرورية للفهم فالطالب أحوج إليها من المثقف والأديب.

4. المداخل والمدوَّنة

المداخل في المعاجم المدرسية همٌّ أساسي من هموم المقدمات فيها؛ فهي تتفق في مسألة قوامها أن حاجات الطلاب ليست كحاجات غيرهم، ولكنها لا تعتمد على شيء ملموس في تحديد هذه الحاجات.

ولا تقوم على دراسة تحدد الرصيد الذي يحتاج إليه الطالب أو التلميذ في كل مرحلة من مراحل الدراسة. يقول منجد الطلاب إنه فرع صغير بُني على أصل متين هو المنجد، وإنه يتوجه إلى الطلاب خاصة من «الذين لا يكاد يقع في مطالعاتهم نصف المفردات التي جمعها "المنجد"، ولا يكاد يتناول استعمالهم رُبع هذا النصف»،

فيميز بين وظيفتين من وظائف المعجم : وظيفة الفهم التي تفرض عليه أن يقدِّم للقارئ ما يمكِّنه من فهم النصوص التي يعثر عليها، وهو يقدِّر حاجة الطلاب بنصف مفردات المنجد، بمعنى أنه يتوقع أن النصف الآخر من المفردات الواردة في المنجد لا يعثر عليها الطلاب في مطالعاتهم. ويقدِّر حاجتهم إلى التعبير بربع هذا النصف، أي إنهم يستخدمون في التعبير عن مواقفهم ثُمن مفردات المنجد. فإن كان على المعجم أن يقوم بالوظيفتين معا : وظيفة الإفهام ووظيفة التعبير، كان عليه أن يحتوي على نصف مفردات «المنجد». لا يذكر المنجد، كما لا يذكر منجد الطلاب شيئا عن عدد مداخله. غير أن معاجم مدرسية أخرى بحجم منجد الطلاب، تحدد هذا العدد؛ ففي قاموس المتقَن المدرسي، كما يقول، 22000 كلمة، وفي رائد الطلاب 16000 مدخل، وهي أعداد تكاد تساوي نصف عدد مداخل معجم السبيل[9]، وهو معجم عربي-فرنسي يقدم نفسه على أنه «معجم شامل للعربية الحديثة» ويتضمن «أكثر من 45000 كلمة استُعملت بدورها في حوالي 40000 عبارة» (مقدمة السبيل، ص 10).

إن توقفنا أمام عدد المداخل فعلينا أن نسأل عن المعايير التي تحدد هذا العدد؛ فقد يكون هذا العدد الذي يقترب من عشرين ألف كلمة أكبر من حاجة التلميذ الصغير في المرحلة الابتدائية، وقد يكون أقل

من حاجة التلميذ الكبير في المرحلة الثانوية. وإنْ تجاوزنا مسألة عدد مداخل المعجم المدرسي واعتبرّنا هذا العدد مناسبا بالمقارنة مع عدد مداخل المعجم الكبير فإننا لا بد من أن نسأل عن كيفية اختيار المداخل التي تغطي هذا العدد : لِمَ سُجِّل هذا ولَمْ يُسجَّل ذاك ؟

تقول مقدمة منجد الطلاب إنها اعتمدت مبدأين اثنين في اختيار مداخله :

- أولهما خُلُوُّ المعجم من الكلمات المهجورة.

- وثانيهما عدم إهمال المفردات المستحدثة.

تكاد المعاجم المدرسية الخمسة التي درسناها تُجمِع على المبدأ الأول؛ إذ يقول رائد الطلاب إنه قام «بتصفية المُمات من المفردات أو النادر استعماله».

وهذه تقريبا عبارة المتقَن نفسها الذي ربما يكون أخذها عن رائد الطلاب : «أهملنا الممات من المفردات أو النادر استعماله».

أما الموجز فيعرض في خطته :

«إهمال الغريب والمهجور من الألفاظ القديمة التي كانت سائدة في البوادي ولم تعد مستخدمة في لغة التخاطب والكتابة المعاصرة».

أما المبدأ الثاني الذي يشير إليه منجد الطلاب، فتُجمِع المعاجم المدرسية الخمسة عليه. يقول رائد الطلاب : أضفنا «من المعاني والألفاظ ما تتحفنا به لغتنا الفصحى الحية المتطورة». ويقول المتقَن إنه «ضمَّنَ هذا القاموس آلاف المصطلحات الجديدة».

أما المعتمَد فيقول إنه قد قام :

«بإضافة بعض المفردات الحديثة المتأتية من الاختراعات الجديدة والأشياء المستحدَثة إلى هذا العمل العلمي كي يلبي كافة احتياجات عالمنا المعاصر».

وأما المعجم الوجيز المدرسي فيرى في الخطة التي يعرضها في مقدمته :

«إدخال ما هو ضروري من الألفاظ المولدة أو المعرَّبة أو الدخيلة أو المُحدثة التي أقرتها مجامع اللغة العربية وارتضاها الأدباء والشعراء والكُتاب».

لئن كان ضروريا أن يُسقَط المهمَل والممات من مداخل المعجم المدرسي، وأن يضاف إليه ما جدَّ من ألفاظ مستحدثة، فإن هذا السقوط وتلك الإضافة لا يجعلان من المعجم معجما مدرسياً، فهاتان السمتان ليستا من سمات المعجم المدرسي، وإنما هما من سمات المعجم العادي المعاصر الذي يهتم بالألفاظ التي يستخدمها المعاصرون فيُسقِط ما أسقطوه، ويضيف ما استحدثوه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينحصر الخلاف بين المعجم المدرسي والمعجم العادي بخلو الأول من المهمل والممات الموجود في الثاني، وبأن يضاف إلى المعجم المدرسي ما ليس في المعجم العادي من ألفاظ مستحدثة، إذ لو كان الأمر على هذه الشاكلة لما كان للمعجم العادي من مزية على المدرسي سوى اشتماله على ما مات من ألفاظ وافتقاره إلى ما جدَّ منها، وهذا أمر غريب مستهجن لا يمكن القبول به. في العام 2000 أصدرت دار المشرق المنجد في اللغة العربية المعاصرة[10]، وهو معجم عادي للكبار لا يتوجه للتلاميذ

في مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. ودليلنا على ذلك أن هذه الدار نفسها قد أصدرت بعد ثلاثة أعوام معجما آخر هو المنجد الوسيط في العربية المعاصرة خصصته لهؤلاء التلاميذ؛ فقد جاء في مقدمة المنجد الوسيط ما يلي :

«بعد أن أصدرت دار المشرق في العام 2001 المنجد في اللغة العربية المعاصرة، وهو معجم موسع يضم جميع المفردات والعبارات التي يحتاج إليها مثقف القرن الحادي والعشرين [...] كان لا بد من إعادة إصداره في طبعة خاصة بالطلاب في مراحل التعليم ما دون الجامعي».

المنجد في اللغة العربية المعاصرة إذن ليس معجما مدرسيا لأنه، كما تقول مقدمة المنجد الوسيط «معجم موسع يضم جميع المفردات والعبارات التي يحتاج إليها مثقف القرن الحادي والعشرين»، وهو مع ذلك يُسقِط الكلمات المهجورة الموجودة في المعجم الآخر : «المنجد في اللغة الذي يبقى في خدمة الذين يهتمون بالأدب واللغة القديمَين»، ويضيف الألفاظ المستحدثة «حتى المأخوذة من أصل غير عربي» (المقدمة)؛ فهل يصبح المنجد في اللغة العربية المعاصرة معجما مدرسيا لأنه أهمل الممات وأضاف المستحدَث ؟

ليس القول بإسقاط الممات، وبإضافة المستحدَث إذن مما يمكن أن يمتاز به المعجم المدرسي وينفرد به. إنما هو أمر يكون فيه وفي غيره. ولو اكتفت المعاجم المدرسية بإسقاط الممات المهمل، وبإضافة الحديث المبتكر لأنتجت معاجم عادية كمعاجم الكبار في أربعين ألف كلمة أو يزيد.

لا بد إذن من إضافة مبدأ ثالث إلى المبدأين السابقَين المتمثلَين في إسقاط المهمَل وإضافة المستحدَث. غير أن المعاجم المدرسية لا تشير إليه، فلا تقول لنا مقدماتها إنها أسقطت أكثر من عشرين ألف كلمة من غير الممات ومن غير المهمل؛ أي إنها أسقطت أكثر من نصف الكلمات الموجودة في السبيل، وهو معجم عربي-فرنسي مخصص للعربية المعاصرة يضم خمسةً وأربعين ألف كلمة، فكيف تكون هذه الكلمات المسقَطة من الممات ومن المهمل ؟

ما أسقطته المعاجم المدرسية إما ألفاظ حديثة وإما ألفاظ قديمة ما تزال حية مستعملة في أيامنا، يستخدمها الأدباء والمثقفون، وتسجلها معاجم الكبار. لا تقول لنا مقدمات المعاجم المدرسية إنها أسقطتها، ولا تقول بالطبع لماذا أسقطتها ؟ وكيف أسقطتها ؟

فإن تجاوزنا هذه المسألة وجدنا أن إسقاط الممات وإضافة المستحدث لا يسلَم لهذه المعاجم المدرسية؛ فلا يقول لنا واحد منها كيف أمات ما أمات، وكيف أضاف ما استُحدِث، وعلام اعتمد في معرفة الممات والمهجور ليسقطه من حسابه، وعلام اعتمد في معرفة المستحدث ليضيفه إلى معجمه. ليس في واحد منها إشارةٌ، ولو عابرة، إلى مدونة اعتمد عليها، ولا إلى إحصاء قام به، ولا إلى درسٍ لتواتر المفردات في النصوص، ولا إلى مرجع اعتمد عليه. كيف يمكن للمعجمي أن يقول إن هذا اللفظ قد وُلِد وإن ذاك قد مات، وإن ذلك ما زال على قيد الحياة ؟

لا ريب في أنه الذوق الفردي لصانع المعجم: يمسك واحدا أو أكثر من المعاجم الكثيرة التي بين يديه كالمنجد والوسيط والأساسي(11)

وغيرها، ثم يعمد إلى الانتقاء منها. وقد يكون الطريق أقصر من هذا فيأخذ معجما مدرسيا أو مجموعة من المعاجم المدرسية التي سبقته يجعلها أصلا له، ثم يُعمل فيها ذوقه بالحذف حينا وبالتعديل حينا آخر.

ما يحدث في المعجم المدرسي صورة لما يحدث في المعجم العادي للكبار أيضا. وربما كان من أسباب تأصُّل هذه الظاهرة أن القدماء لم يكونوا يدونون في معاجمهم لغة العصر الذي يعيشون فيه؛ فالعربية قد فسدت كما يقولون بعد اختلاط العرب بالأعاجم، ولم يعد أصحاب اللغة بعد القرن الثاني للهجرة ممن يمكن الركون إليهم، لأن لغتهم قد اختلطت عليهم، فلم يعد همُّ اللغوي في القرون التي تلت ذلك التاريخ إلى يومنا هذا أن يصف اللغة التي يستخدمها الناس في عصره، وإنما أن يصف اللغة العربية الصافية التي كانت في عصر الفصاحة. كان اللغويون الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد يجمعون اللغة من أفواه أصحابها لأن أصحابها كانوا أهل فصاحة، فكانت مدونتهم إذن نصوصا شفوية مسموعة. أما اللغويون المتأخرون من أمثال ابن منظور والفيروزابادي وغيرهما فكان اعتمادهم على المدونة التي جمعها الأوائل، أي على المعاجم السابقة، فحل المعجم محل المدوَّنة.

لا تشير المعاجم المدرسية في مقدماتها إلى المعايير التي اعتمدتها في إسقاط الممات. وهي لا تشير أيضا إلى معاييرها في إضافة الألفاظ المستحدثة باستثناء ما جاء في توطئة منجد الطلاب من وقوفه «موقفاً وسطاً بين جمود المحافظين وتسرع المجددين» في تسجيل الألفاظ المستحدَثة؛ فقد قسمت المفردات الجديدة إلى ثلاث طوائف :

- طائفة شاع استعمالها من أمثال السيارة والطيارة والغواصة، «ولم

يكن غبار على عروبتها فوجب تدوينها، فدوّناها في مواضعها دون قيد ولا شرط»

- «طائفة لم يعم استعمالها بعد على كونها مأنوسة صالحة للاستعمال سواء أكانت عربية الأصل «كالنسّافة» أم دخيلة معربة «كالمناورة» فدوناها مع الإشارة إلى أنها من اصطلاح المعاصرين»

- «طائفة أجنبية لم ينتشر استعمالها، وإن يكن شائعا على ألسنة العامة، وفي بعض الجرائد، فدونا منها ما وافق الأوزان العربية، وأشرنا إلى أنه من الدخيل، فلم نُحجم مثلا عن القول : "تلفن يتلفن تلفنة"».

يقوم اختيار الألفاظ المستحدثة هنا على ثلاثة معايير : على أصل الكلمة : أعربية هي أم أعجمية ؟، وعلى موافقة الكلمة أو عدم موافقتها لأوزان العربية، وعلى انتشار استعمالها. أما المعياران الأولان وهما المتعلقان بأصل الكلمة وبوزنها فلا يحتاجان إلى إيضاح. وأما المعيار الثالث المتعلق بانتشار استعمالها فيحتاج إلى أن تحدَّد الضوابط التي تسمح بقياس هذا الانتشار، وبمعرفة المدونة التي يُرجع إليها وهو ما لا تشير التوطئة إليه. وتثير هذه التوطئة فضلا عن ذلك مشكلة إضافية، فالطبعة التي اعتمدنا عليها صادرة في العام 2008. غير أن تحت عنوان الكتاب إشارة تقول : «نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد أفرام البستاني».

وقد توفي فؤاد أفرام البستاني منذ وقت ليس بالقليل، وتوطئة الكتاب بلا توقيع ولا تاريخ. فلا يُدرى إن كان فؤاد أفرام البستاني هو الذي كتبها -فإن كان الأمر كذلك فما ذكره عن الشيوع وكثرة الاستعمال أو قلته قد لا يكون صالحا في أيامنا- أم هي حديثة من عمل الناشر. ولم

يتسن لنا مقارنة الطبعة الجديدة في العام 2008 بالطبعات السابقة للتثبت من تاريخ كتابة هذه التوطئة.

5. في المداخل المحذوفة

لا شك في أن المعجم المدرسي لا يكتفي بإسقاط الممات من المفردات، بل لا بد له من إسقاط غيره أيضا ليكون أصغر حجما من معجم الكبار. وكنا قد أشرنا في الفقرة السابقة إلى قيام المعجم المدرسي على اختصار غيره، وإلى أن الاختلاف الأساسي بينه وبين المعجم العادي أو معجم الكبار إنما هو اختلاف يستند إلى الحجم الذي يكون بحذف بعض مواد معجم الكبار، أو بحذف بعض المعلومات في المدخل. غير أن هذا الحذف الذي قد يعلَّل بمراعاة مستويات الطلاب ومداركهم يستند إلى معيار غائم لا تُعرف حدوده، فلا يُعرَف على وجه الدقة مستوى الطلاب، ولا يُعرف علام يُعتمد في تحديد مداركهم، ناهيك بأن لفظ «الطلاب» الذي يُطلق على مراحل التعليم ما قبل الجامعي يضم جماعات شديدة التباعد في مداركها من سن الطفولة حتى سن المراهقة والشباب، فكيف يمكن أن يكون هذا المعيار معيارا عملياً يمكن الاعتماد عليه ؟

في الصفحة الأولى من منجد الطلاب على سبيل المثال، مدخلٌ لفعلِ «تأبّى»، وهو فعلٌ ربما يكون ما يزال شائعا في أيامنا. غير أن مقدمة المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، وهو معجم مخصص للطلاب أيضاً، تختار هذا الفعل مثالا لما ينبغي حذفه من المداخل في معجم وسيط مخصص للطلاب. إنه مثال لما يُختَصَر من معجم الكبار من «التعابير والصيغ والشواهد والأمثلة المدرجة تحت جذر الكلمة

العربية، وذلك لأنها تشرح معاني أو تعبر عن صور وحالات لا قدرة للطلاب على فهمها، أو هي من آداب ولغة مَن يفوقهم عمرا وثقافة».

قد يكون هذا الفعل «تأبَّى» مما ينبغي حذفه كما فعل المنجد الوسيط، وقد لا يكون كذلك كما فعل منجد الطلاب؛ فليس عندنا مدونة تسمح لنا باعتماد هذا الرأي أو ذاك. غير أننا نعتقد أن هذا المثال يمكن أن يكون نموذجا لما قلناه : فحذْف ما يُحذف، وحِفْظ ما يُحفظ إنما يجري اعتمادا على الذائقة الفردية لصانع المعجم الذي يقدِّم لنا خياراته هو، ولا يسجل ما اعتمدته الجماعة اللغوية.

أخذنا الصفحة الأولى من كل واحد من المعاجم المدرسية الخمسة وقابلناها بالصفحة الأولى من المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لنرى سياسة هذه المعاجم المدرسية في حذْف ما يُحذف وفي إبقاء ما يبقى.

يمكن لنا أن نسجِّل من خلال الصفحة الأولى فقط في كل واحد من هذه المعاجم، وهي صفحة ليس فيها إلا عدد قليل جدا من المداخل، علامات استفهام على بعض المداخل التي تحتفظ بها المعاجم المدرسية فتسجلُّها، وعلى بعض المداخل التي تُسقِطُها والتي ربما تكون أكثر شيوعا من تلك التي احتفظت بها. واعتمادنا في هذا الأمر إنما هو اعتماد على ذائقتنا اللغوية، وهي ذائقة فردية قد تخطئ وقد تصيب مثْلُها مثلُ الذائقة اللغوية لأصحاب المعاجم، ولا يمكن أن تكون دليلا وحجة يُستند إليها إلا بمقدار استناد المعاجم المدرسية أيضاً إلى الذائقة اللغوية الفردية لأصحابها. ولو كانت هذه المعاجم تعتمد على المدونات في إسقاط ما أسقطت، وفي تسجيل ما سجَّلت لَما كان لنا أن نعارض اختيارها بما تدفعنا ذائقتنا اللغوية الفردية إليه.

من خلال هذه المقابلة يمكن تسجيل المداخل التالية :

- في منجد الطلاب «الإبريسِم والإبريسَم : أي الحرير»؛ والآبِدَة : الأمرُ العظيم تنفر منه

- وفي رائد الطلاب : «أباءَ بالمكان : أقام به»

- وفي المتقَن الوسيط المدرسي : «أبَّ : استعدَّ، وتاق إلى رؤية الشخص، واتَّخذ شخصاً كأبٍ له»

- وفي المعتمَد المدرسي : «أبَزَ الظبيُ أبْزاً : وثب؛ وأَبَشَ : جمَعَ؛ وأَبِصَ: نشِط، وفرسٌ أبوصٌ : نشيط»

- وفي المعجم الوجيز المدرسي : «أبأه بسهم : رماه به؛ والأُباب : الماء الكثير؛ والأبابةُ : داءٌ يصيب الغريب؛ والمأبوت : المحرور».

في مقابل هذه المداخل التي سجلتها المعاجم المدرسية، والتي يمكن أن تُسجَّل علاماتُ استفهام عن مدى ملاءمتها للتلاميذ، مداخلُ في الصفحة الأولى من المعجم الوسيط حُذفت من المعاجم المدرسية الخمسة التي درسناها، وهي مداخل قد تكون أقرب إلى التلاميذ من تلك التي احتُفِظ بها. ويمكن أن نمثِّل لهذا الصنف الثاني بالكلمات الثلاث التالية :

- «الآجُر»؛ فأكثر الناس، أو كثير من الناس في أيامنا ما يزالون يبنون بيوتهم بالآجر.

- و«الآنسون» الذي تسميه العامة «اليانسون»، فأكثر الناس في العالم العربي جربوه في طفولتهم وما زالوا يجربونه في أطفالهم حين يصابون بالمغص.

- و«آمين»؛ فكثير جدا من المسلمين شيبا وشبانا وأطفالا، ممن يصلُّون وممن لا يصلّون، ما يزالون في كل يوم يعقّبون على قراءة سورة الفاتحة في الصلوات وفي المناسبات بقول «آمين».

كيف سقطت هذه المداخل الثلاثة الأخيرة ؟ ولِم بقيت تلك المداخل العشرة التي سبقتها ؟ لو اعتمد المعجم المدرسي على مدونة حقيقية لكفانا السؤال.

6. في المداخل المستحدَثة

تساءَلنا في الفقرة السابقة عن حذف ما حُذف، وعن حِفظ ما حُفظ، ولا بد لكي تكتمل الصورة من أن نتساءل في هذه الفقرة عن اللفظ المستحدث الذي قد يكون أكثر أهمية وأعظم خطرا من حذف الممات أو من الاحتفاظ بهذا اللفظ أو ذاك.

تُجمع المعاجم المدرسية الخمسة التي رصدناها على أنها تهتم بتسجيل المصطلحات الحديثة في العالم العربي المعاصر، وإن كانت لا تشرح المعايير التي تعتمدها في سبيل ذلك باستثناء ما ذكرته مقدمة منجد الطلاب التي قسمت الألفاظ المستحدثة التي تبنتها إلى ثلاث طوائف تعتمد في تبنيها على الاستعمال وعلى موافقتها لأوزان العربية. وقد حاولنا اعتمادا على ذائقتنا مرة أخرى أن نتبين مواقف هذه المعاجم من عدد من المصطلحات الحديثة التي أضحت أقرب إلى ألفاظ اللغة العامة منها إلى المصطلحات، وهي ألفاظ لا يكاد يجهلها طالب في العالم العربي لأنها أضحت جزءا من حياته اليومية. أخذنا للتمثيل على ذلك الهاتف، ولا سيما منه الهاتف المحمول وشاحنُه، أي الجهاز الذي يشحنه بالكهرباء، فبحثْنا في المعاجم المدرسية عن الهاتف

المحمول أو النقّال أو الجوال أو اللاسلكي أو الخلوي أو الخليوي أو «السيلولير» أو «الموبايل»، بجميع أسمائه العربية والأعجمية، وأخذنا الحاسب أو الحاسوب أو «الكمبيوتر» وفأرته، وأخذنا التلفاز، والناسوخ أو «الفاكس»، والناسخة أو آلة تصوير الوثائق، وأخذنا أفلام الكرتون الموجهة للأطفال؛ فماذا كانت نتيجة البحث ؟

في أربعة من المعاجم الخمسة مدخل للتلفون، وفيها جميعا مدخل للهاتف مع تعريف له أو إحالة إلى التلفون باستثناء المعجم الوجيز الذي يحيل في «التلفون» على «الهاتف» وفي مدخل الهاتف يقول: «الصوت يُسمَع دون أن يُرى شخصُ الصائح» مع أن الشيخ أحمد رضا في معجمه: متن اللغة[12] الصادر في العام 1960 كان قال عن الهاتف :

> «الذي يُسمَع صوته ولا يُرى شخصه. ووضعه مجمع دمشق للتلفون الدخيلة، وهو آلة توصِل صوت مخاطبك إليك مع بعد الشقة بينكما بواسطة سلك معدني ممتد بينكما أو بلا سلك».

أما الهاتف المحمول بجميع أسمائه العربية والأجنبية فلا ذكر له في أي من المعاجم الخمسة، ولا وجود بالطبع لشاحِنه ولا لشيء من سائر المصطلحات الخاصة به.

وليس الحاسب، ثابتاً أو محمولاً، أحسن بكثير من الهاتف المحمول؛ إذ لم يرد لفظ «الحاسب» إلا في المعتمَد الذي عرَّفه فقال عنه إنه: «الكمبيوتر»، فإن بحثت عن مدخل للكمبيوتر لم تجد له أثراً في هذا المعجم. وقد خصص رائد الطلاب مدخلا للحاسوب وعرّفه بالقول إنه «اسمٌ اشتق حديثا لآلة تخزن المعلومات وتعالجها وتعمل وفق برامج شتى على سلسلة من العمليات الحسابية والمنطقية، وتُعرف بالكمبيوتر».

الحاسب ومرادفاته غائبة في المعاجم الثلاثة الأخرى. أما فأرة الحاسب فلا أثر لها في أي واحد من المعاجم الخمسة التي تكتفي بالحديث في مدخل «الفأر» و«الفأرة» عن «الدابة الصغيرة من القوادم»، أو عن «فأرة المسك أي رائحته ووعاؤه»، أو عن «الفأرة: من أدوات النجارة». فهل فأرةُ المِسك، وفأرةُ النجّار ألصق بواقع الطلاب من فأرة الحاسب ؟

وليس الناسوخ أو الفاكس بأحسن حظاً؛ فلا ذِكر له باستثناء ما ورد في المعتمَد عن «التلفاكس»، ولا يوجد مدخل للناسخة أو لجهاز تصوير الوثائق التي يعرفها الصغار كما يعرفها الكبار سوى في معجمين من المعاجم الخمسة. وليس هذا الغياب بمستغرب في المعاجم المدرسية، فليست هذه الألفاظ في معاجم الكبار كالمعجم الأساسي ولا في معجم يعتمد على المعاصَرة كَالمنجد في اللغة العربية المعاصرة. والغريب أيضا أن المعاجم الثنائية لا تكاد تشير إلى هذه الألفاظ مع أنها في المعجم الفرنسي منذ وقت طويل؛ فليست في المنهل[13]، ولا في الكامل الكبير[14]، ولا في المعاجم العربية-الفرنسية كَالسبيل والمرجع[15]. ولم نجد إلا الناسخة الفوتوغرافية في المنهل الفرنسي-العربي، والفاكس في المعجم الفرنسي-العربي أطلس[16].

لم يخب ظننا حين بحثنا عن «أفلام الكرتون»؛ فلقد كنا نتوقّع غيابها كغياب كثيرٍ غيرها من المستحدّثات. ليست هذه الأفلام في أي واحد من المعاجم المدرسية الخمسة. بل إن «الفلم» مكتوباً بالياء وبغير الياء ليس له مدخل في ثلاثة من المعاجم المدرسية الخمسة[17]، فكيف يُنتظر أن يكون فيها مدخل لفلم الكرتون ؟

حتى التلفاز لا تعرفه المعاجم المدرسية، إذ تخصص أربعة من المعاجم الخمسة مدخلا للتلفزيون الذي قد لا يخلو منه بيت في العالم العربي، بل قد لا تخلو منه خيام البدو التي شاهدنا بأم العين عددا منها يعلوها الهوائي اللاقط. ولكن المعاجم المدرسية لا تذكر التلفاز على كثرة شيوعه على ألسنة العاملين فيه مع أن بعضها يخصص مدخلا لفعل «تلفز»، وللمصدر «تلفزة».

يبدو واضحا أن اختيار المداخل، ما يُذكر منها وما يُسقط، لا يستجيب لحاجات الطلاب والتلاميذ، ولا يضبطه ضابط؛ فهو لا يخضع لمعايير محددة، ولا يعتمد على مدونة واضحة المعالم، بل قد لا يعتمد على مدونة على الإطلاق. وإنما هو إعادة إنتاج للمعاجم القديمة، يقوم على التخير منها اعتمادا على الذوق الفردي الخاص لصانع المعجم، مع بعض الإضافات التي لا تستند إلى منهج محدد، ولا إلى مدونة. أما طريقة العرض والمداخل الفرعية وطرق التعريف والعلاقات المعنوية بين المداخل، والأمثلة والشواهد وانتقال الدلالة، والاشتراك الدلالي، وما شاكل ذلك من خصائص العمل المعجمي فلها شأن آخر، ولا يتسع المقام للحديث عنها في هذه العجالة، وهي، على أي حال، لا ترد في مقدمات المعاجم المدرسية. ولأن للغياب دلالةً لا تقل عن دلالة الحضور، فإن غياب هذه المسائل من مقدمات المعاجم المدرسية يعني أنها ليست في صلب اهتمامات المعاجم. فما الذي يبقى من المعجم المدرسي بعد كل هذا ؟

الإحالات

(1)- المنجد في الأدب واللغة والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 15، 1956.

(2)- انظر مقدمة الطبعة الأولى المنشورة في أول المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط 15، 1956.

(3)- أنظر مقدمة الطبعة الخامسة الصادرة في العام 1927 في المنجد في الأدب واللغة والعلوم، ط 15، 1956.

(4)- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط 1، 2003.

(5)- مجمع اللغة العربي : المعجم الوسيط، دار عمران، ط 3، 1985

(6)- يشير تصدير الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط إلى معجم وجيز للناشئة. يقول إبراهيم مدكور في هذا التصدير : «وسبق لنا أن أشرنا في الطبعة الثانية إلى أن تجربة المعجم الوسيط دفعتنا إلى التفكير في وضع معجم أصغر منه يلائم صغار الناشئين، وهو «المعجم الوجيز»، وقد أخرجناه فعلا عام 1980». إلا أننا لم نطّلع على هذا المعجم الوجيز الذي أصدره المجمع، ولا ندري إن كان «المعجم الوجيز المدرسي» الذي اعتمدنا عليه صورة معدلة عن «المعجم الوجيز» للمجمع، وإن كان يعتمد اعتمادا واضحا على مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تصنيف مفرداته إلى مُعرَّب ودخيل ومولَّد ومحدَث (ص 7).

(7)- كذا في المقدمة، والصحيح أن الطبعة الأولى للمنجد في اللغة العربية المعاصرة صدرت في العام 2000 كما هو مسجل على الغلاف.

(8)- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط 26، 1982.

(9)- دانيال ريغ : السبيل، معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي، لاروس، مكتبة لاروس، باريس، 1983.

(10)- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط 1، 2000.

(11)- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم العربي الأساسي، لاروس، 1999.

(12)- الشيخ أحمد رضا : معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، 1380 هجرية/1960 م.

(13)- جبور عبد النور وسهيل ادريس : المنهل، قاموس فرنسي-عربي، دار العلم للملايين ودار الآداب، بيروت، ط 7، 1983.

(14)- يوسف محمد رضا : الكامل الكبير زائد، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 5، 2004.

(15)- جوزف نعوم حجار : المرجع، قاموس معاصر عربي-فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002.

(16)- قاموس أطلس الحديث، فرنسي-عربي، مركز أطلس العالمي للدراسات والنشر، عمان، 2005.

(17)- يخصص منجد الطلاب مدخلا للسينماتوغراف واختصارها السينما، ولكنه مع ذلك لا يشير إلى الأفلام لا من قريب ولا من بعيد.